مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 29، أكتوبر 2021، ص - ص: 639 – 650
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

موقف محمد شحرور من عصمة الأنبياء عليهم السلام

Muhammad Shahrour's Position Toward Prophets' Infallibility (Peace Be Upon Them)

طالب الدكتوراه الصادق غمام عمارة[1]
معهد العلوم الإسلامية- جامعة الوادي
مخبر إسهامات علماء الجزائر في الدراسات الإسلامية
Ghamara-sadok@univ-eloued.dz
أ.د/ خالد حباسي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية- جامعة زيان عاشور الجلفة
habkhaled@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/10/17 تاريخ القبول: 2021/07/11

الملخص:

يكثُر اليوم الجدلُ والحوار حول قضايا ومسائل النبوة، وخاصة مع انتشار التيار الحداثي، الذي يخوض معركة ضد المفاهيم السائدة لدى المسلمين، ومن بين هذه القضايا مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام، إذ هي قضية حساسة، كونها تمس شخص النبي من حيث كونه بشرا مصطفى من الله تبارك وتعالى، وقد تعرض بعض الكتاب المعاصرين لمسألة العصمة، وأتوا فيها بما لا يُعهد في المدونات الكلامية، ويعتبر المهندس محمد شحرور أحد أبرز الشخصيات التي تناولت هذه المسألة بالنقد والتحليل، خاصة فيما يتعلق باجتهاد الأنبياء وخطئهم وخطاياهم وخصائص بشريتهم وتبليغهم عن ربهم، ونظرا للآثار الخطيرة التي تترتب على معناها عنده، أردنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نقف على مفهوم العصمة عنده، وبيان الآثار المترتبة على هذا المفهوم.

الكلمات المفتاحية: موقف؛ شحرور؛ العصمة؛ الأنبياء.

Abstract:

Today, several controversial issues and questions are raised on the topic of prophecy. This is especially with the tide of modernism, which is rebelling against the concepts prevailing in Muslims including prophets' infallibility. The latter is a sensitive issue as the prophet can be negatively affected in terms of being a human chosen by Allah. Yet, some contemporary writers have been discussing prophets' infallibility innovatively, i.e., has never been tackled as such in the speech codes. Hence, the engineer Muhammad Shahrour is a prominent figure who criticized and analyzed prophets' infallibility in regard to their diligence, mistakes, sins, characteristics of human nature, and their communication of Allah message. In view of the serious implications of infallibility's meaning, this paper explores Shahrour's concept and states its implications.

Keywords: Position, Shahrour, Infallibility, Prophets.

مقدمة:

صفوة الله من خلقه أنبياؤه، اجتباهم واصطفاهم واختصهم بصفات الكمال ظاهرا وباطنا، أنعم الله عليهم بالنبوة، وأكرمهم بالوحي والرسالة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا

1 – المؤلف المرسل.

مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [مريم: 58]، فأكرم وأنعم به من مقام شريف عظيم.

واليوم يكثر الجدل والحوار حول هذا المقام الشريف، وخاصة في ظل الموجة الحداثية الكبرى، التي تدعو إلى مراجعة المُسَلّمات والثوابت في أصول الإيمان والاعتقاد، فقد مَثّلت قضايا النبوة وكيفية تأويلها تأويلا عقلانيا واحدة من أهم القضايا التي شغل بها الحداثيون العرب، وفي هذه الورقة البحثية نسعى إلى عرض مقاربات أحد أبرز الشخصيات المعاصرة، وصاحب الأطروحات المثيرة للجدل ألا وهو المهندس محمد شحرور، في مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام، فقد تعرض لتحليلها ونقدها في عدة مواضع من كتبه ومقالاته وبرامجه، وفق مقاربات حداثية معاصرة، وعرض هذه المسألة ينطلق من التساؤل الآتي:

ما هو مفهوم موقف محمد شحرور من عصمة الأنبياء عليهم السلام؟ وهذا يدفعنا إلى الجواب عن التساؤلين الآتيين:

ما هو مفهوم محمد شحرور لعصمة الأنبياء؟ وما هي الآثار المترتبة على هذا المفهوم؟

ولمعالجة هذه الإشكالية، تم عرض المادة العلمية لهذا البحث وفق خطة تضمنت مقدمة ومطلبين وخاتمة، فأما المقدمة فتضمنت توطئة لموضوع البحث، وعرض إشكاليته، وبيان المنهج المتبع فيه، والمطلب الأول عُرِض فيه بالتفصيل مفهوم العصمة عند محمد شحرور، والمطلب الثاني خُصّص لبيان الأثار المترتبة على مفهومه للعصمة.

وسنعتمد على المنهج التحليلي والاستقرائي، ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن حقيقة العصمة في الدراسات المعاصرة وتحديدا عند المهندس محمد شحرور، وإلى الدفاع عن الجناب النبوي ورد ودحض الشبهات المثارة حوله.

المطلب الأول: مفهوم عصمة الأنبياء عند محمد الشحرور[1]

مبحث العصمة من أهم المباحث العقدية التي اعتنى بها العلماء تقريرا وشرحا ودفعا للشبهات، وما ذاك إلا لحفظ هذا المقام العظيم، ومعرفة عظيم قدره، ألا وهو مقام النبوة، ومعرفة هذا المقام يقتضي معرفة صفات الأنبياء عليهم السلام، من حيث ما يجب لهم، وما يجوز، وما يستحيل في حقهم، لأن الزلل والخطأ في مقام العصمة أمره خطير، وقبل أن نورد مفهوم العصمة عند محمد شحرور، ينبغي أن نقدم بتعريف العصمة في اللغة والاصطلاح.

الفرع الأول: تعريف العصمة لغة واصطلاحا

1- تعريف العصمة لغة: العصمة في اللغة تَرِد على عدة معان منها، منها المنع والحفظ والقلادة، جاء في لسان العرب: " العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبدَه: أن يعصمه مما يُوبِقه، عَصَمه، يَعْصِمه، عَصْما: مَنَعَه ووقاه...والعصمة الحفظ، يقال: عَصَمْتُه فانعصم، واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية...والعصمة القلادة"[2].

وجاء في معجم مقاييس اللغة: "عَصَمَ: العين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على إمساكٍ ومنْع وملازمة. والمعنى في ذلك كلِّه معنىً واحد. من ذلك العِصْمة: أن يعصم اللهُ تعالى عَبْدَه من سوءٍ يقع فيه. واعتصم العبدُ بالله تعالى، إذا امتنع. واستَعْصَم: التجأ. وتقول العربُ: أعْصَمتُ فلاناً، أي هيّأتُ له شيئاً يعتصم بما نالته يدُه أي يلتجئ ويتمسّك به"[3].

2- تعريف العصمة اصطلاحا: تنوعت عبارات العلماء في تحديد معنى العصمة، وإليك أشهر التعريفات لها:

العصمة: "ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها"[4]، ويعلق صاحب مجلة المنار على هذا التعريف بقوله "أي أن المعصوم من الشيء يجد في نفسه قدرة عليه ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه، فالعصمة وازعٌ نفسي راسخ في النفس، وهي في الأنبياء فِطرية، وقد يكون لغيرهم، بحسن التربية، من ملكة الفضيلة ما يربأ بنفوسهم عن موافقة الفجور والدنايا ويسمي علماؤنا هذا المعنى حِفظاً للتفرقة"[5].

وعرَّفها صاحب كتاب الكليات بقوله: "هي لطف من الله، يحمل العبد على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشرّ، مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء...وعصمة الأنبياء، حفظ الله إيّاهم أوَّلًا بما خَصَّهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية النفيسة، ثم بالنصرة وتثبيت الأقدام، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق"[6].

وقيل في تعريفها أيضا: هي خُلُقٌ مانعٌ عن ارتكاب المعصية، غير ملجئ إلى تركها، فلا يكون مضطراً في ترك المعصية"[7].

وقد جمع صاحب إرشاد الفحول عبارات المتقدمين في معنى العصمة فقال: "واختلفوا في معنى العصمة، فقيل: هو أن لا يُمَكَّن المعصومُ من الإتيان بالمعصية، وقيل: هو أن يختص في نفسه أو بَدَنِه بخاصيةٍ تقتضي امتناع إقدامه عليها، وقيل: إنها القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية، وقيل: إن الله منعهم منها بألطافه بهم، فصرف دواعِيهم عنها، وقيل: إنها تهيئة العبد للموافقة مطلقا، وذلك يرجع إلى خلق القدرة على كل طاعة"[8].

فهذه العبارات المتنوعة والمختلفة في تعريف العصمة، تنتهي جميعها إلى حفظ الله تعالى لأنبيائه من الوقوع في كل ما يشين أو ما يُنقِص من قَدْرِهم.

الفرع الثاني: مفهوم العصمة عند محمد شحرور

تكلم محمد شحرور عن العصمة في عدة مواضع من كتبه ومقالاته، وفي لقاءاته التلفزيونية، وسنسعى هنا إلى تجلية وتوضيح مفهومه للعصمة، ثم نردف ذلك بالمناقشة والتعقيب، وذلك في النقاط الآتية:

1- مفهوم العصمة عنده: يقول محمد شحرور في معرض تعريف العصمة التكوينية لغة واصطلاحا: " العصمة لغة تدل على الحفظ والحماية والمنع، ومفردة قرآنية وردت ثلاث عشرة مرة في التنزيل الحكيم....أما معنى التكوينية فجاء لغة من أصل التكوين والكون أي الخلق والإيجاد، وعليه فوجود شيء في الإنسان مع ولادته معناه وجوده تكوينا فيه، بمعنى أن يولد الأشقر أشقر والأسود أسود خلقة، فهل الأنبياء والرسل ولدوا معصومين تكوينا أي خلقة؟"[9].

ثم يجيب عن سؤاله فيقول: "إن القول بوجوب العصمة التكوينية للأنبياء والرسل ينكره التنزيل الحكيم الذي يروي لنا أخبارا ومواقف تتعارض مع هذه العصمة المزعومة لهم"[10].

ويزيد محمد شحرور إيضاحا لمفهومه للعصمة بقوله: "وقد رأينا أن النبي عليه الصلاة والسلام كانت له ثلاثة مقامات، فأما مقام الرجل فهو مقام الإنسان العاديّ، الممارِس للحياة البشرية بشكل عادي، ولم يكن معصوما في هذا المقام، لأنه مقام لا يحتاج للعصمة، وكذلك الأمر بالنسبة لمقام النبوة، الذي كان فيه قائدا أعلى، وقاضيا لمجتمعه، فلم يكن معصوما في اجتهاداته، وقد جاءته تعليمات بتصحيح اجتهاداته، ثبتت في كتاب الله، ما ينفي العصمة تماما في مقام النبوة، لأن من غير الممكن أن يكون معصوما في هذا المقام، لأنه مقام اجتهاد وإعمال للرأي، وفق ما يتناسب مع ظروف المجتمع، بينما كان معصوما في مقام الرسالة فقط، بحيث قام عليه الصلاة والسلام بمهمة بلاغ كتاب الله كله للناس من هذا المقام، بالصيغة اللغوية المنطوقة والتعبدية التي حفظها الله بكل أمانة"[11].

وبناء على هذا التقسيم، يؤكد محمد شحرور أن العصمة مكتسبة وليست تكوينية، فيقول: "وبناء على ذلك فإن العصمة التكوينية صفة مخصوصة تجعل المعصوم مخلوقا غير عاديّ، والله تعالى يقول بخصوص النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف:110]، بما معناه أنه خُلِق كَأَيِّ بَشَرٍ آخر، أيْ إن تكوينَه بشريٌّ عاديّ، وبالتالي فهو غيرُ معصومٍ في كل شيء، وإنما كان معصوما في تبليغ الوحي الذي جاء به فقط..أي إنه معصوم كرسول في البلاغ عن ربه عصمة مكتسبة لا تكوينية"[12].

فهو يؤكد أن مفهوم العصمة إنما هو في مقام تبليغ الرسالة فقط، فيقول: "أما مفهوم العصمة، فلم يَتَمَتَّعْ به أحدٌ، ما عَدا الرَّسول في نطاقِ بلاغِ الرسالة فقط لا غير"[13].

فيقرر محمد شحرور أن النبي ﷺ غيرُ معصوم في مقام النبوة ومقام البشرية، وهو معصوم في مقام الرسالة بالبلاغ فقط.

ويمكن أن نُلَخّص مفهوم محمد شحرور للعصمة في نقطتين اثنتين هما:

أ- نفي العصمة التكوينية للأنبياء.

ب- حصرُ العصمة في بلاغ الرسالة فقط.

الفرع الثالث: مناقشة مفهوم العصمة عنده

بالنظر في مفهوم العصمة عند علمائنا، على اختلاف عباراتهم، ومفهوم العصمة عند محمد شحرور نجد أنه قد جانب الصواب في مفهومها، وذلك للآتي:

1- إن نفي شحرور للعصمة التكوينية عن الأنبياء عليهم السلام، وجَعْلِهم في مَصَافّ البَشَر العاديين، لَهُوَ زَلَلٌ بَيِّن وخَطَأٌ جَسيم، بل انتقاص لِقَدْر الأنبياء عليهم السلام في ذَوَاتهم، إذ كيف يُعْقل أن يكون الرسول مجرد بَشَرٍ عاديّ، أُوتيَ رسالةً من الله، وأُمِرَ بتبليغها فَبَلَّغَهَا كما أُمِر، وما عدا ذلك فهو مجرد إنسان عاديّ يخطئ ويصيب، ويذنب ويتوب.

2- يستدل محمد شحرور لنفي العصمة التكوينية بدليلين:

الدليل الأول: البشرية

يقول محمد شحرور: "والله تعالى يقول بخصوص النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف:110]، بما معناه أنه خُلِق كَأَيِّ بَشَرٍ آخر، أيْ إن تكوينَه بشريٌّ عاديّ، وبالتالي فهو غيرُ معصومٍ في كل شيء، وإنما كان معصوما في تبليغ الوحي الذي جاء به فقط"[14].

كون الأنبياء عليهم السلام بَشراً هذا محل إجماع ولا خلاف فيه، ولكنهم على بشريتهم قد ثَبتت لهم الخصوصية، وذلك باصطفاء الله لهم، فإن من يَستعد لتلقي الخطاب الإلهي، سواء بتكليم الله له مباشرة، أو باتصاله بالمَلَكِ، لا بد أن يُهَيَّءَ تهيئة خاصة لذلك.

وقد رد الشيخ محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني[15] على من يستدل بهذه الآية على نفي عصمة الأنبياء في بشريتهم فقال: "ليس فِي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف:110] متمسّكٌ لمن يحاول نَفْيَ العصمة لأن الاشتراك في وَصْف البشرية لا يعنى الاشتراك في سِماتها وخصائصها التي هي محل التباين بين طبقات الناس... اعلم أن الذين فُتِنوا فِي أنبيائهم ورسلهم كانوا على ضربين:

الأول: قَوْمٌ لم يَشْهَدوا البشرية في رُسُلِهم، بل اعتقدوا فيهم الألوهية والشِّرْكة مع الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:30]، فجاء الخطاب لهم في جانب نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مُؤَكّدا على مالم يَشْهَدوه من بَشَرية رُسَلِهم ومُبطِلًا لزعمهم فيما اعتقدوه من بُنَوّتهم لله، -تعالى الله عما يقول الظالمون

علوًّا كبيرًا- لتكون الفتنة في جانبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مأمونة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف:110]، والحَصْر في الآية إما أن يكون حَصرَ إفرادٍ، إذا اعْتقَدَ المخاطَب البشرية مع الألوهيّة، أي: إنما أنا بشرٌ ولستُ إلَها، أو حَصْرَ قَلْبٍ إذا اعتقد المخاطَب الألوهية دون البشرية، وكلاهما من أنواع الحَصْر الإضافيّ هذا وقد أجمع المفسرون على أن الخطاب في هذه الآية وفى نظائرها للمشركين وليس للمؤمنين وذلك لانتفاء الشبهة عندهم.

الثاني: قَوْمٌ لاحظوا البشرية في رُسُلِهم عاريَةً عن سِماتِ الخصوصية، وهي شُبهة اقتَضَت أن يكون الخطاب لهم مختلفًا عن سابِقِه، وذلك فيما حكاه الله على ألسنةِ رُسِلِهِ في قوله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم:10]، فجاء الجواب مُقَرِّرًا لما لاحظوه مِن البشرية ومؤكِّدًا على ما لم يَشْهَدوه من الخصوصية، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم:11]"[16].

فالبشرية المثبتة هي في مقابل الألوهية، ولا ينفي هذا عنهم الخصائص التي ترقى بهم إلى مقامات تفوق مقامات البشر العاديين.

"فالله جل جلاله لما علم أن جميع الخلق ليس في شاكلتهم أن يأخذوا الأمداد والفيوضات من الحضرة الإلهية، جعل بيننا وبينه وسائط وبرازخ، وهم أنبياؤه ورسله وملائكته، وجَبَلَهُم على استعداد خاصٍ صالحٍ للتلقي من الحق، والإفاضة على أهلهم المبعوثين إليهم.

أما علة عدم اقتدارنا على التلقي من الحضرة الإلهية إلا بواسطتهم، فلعدم النسبة بين عِزّة القِدَم والحُدوث، وأما العلة في عدم صلاحيتنا للتلقي من الملائكة مثلا، فلعدم الرابطة الجنسية والعلاقة الإنسية، فإنه ليس في القوة البشرية أن تتلقى عن القوى المَلَكِيَّة، ومن التفت لهذا القدر من العلم، فهم السرّ في امتنان الحق جَلَّ أمره على خلقه في عدة آيات، كقوله جَلَّ أمرُه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة:128]، أي: من جنسكم.

وانظر لما أَدَلَّتْ قريش بقولها: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ...﴾ [الأنعام: 08]، فتوهموا أن الرابطة الجنسية لا تشترط بين المُفيض والمُفاض عليه، فرد عليهم الوحي بقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:08]، فأشار تعالى إلى أن القصد من البعث وهو - التهذيب والترييض- لا يحصل من الملائكة، لعدم الملاءمة بين القوى الملكية والقوة البشرية، ولذلك كان الوحي أحيانا يأتي حضرة أبي الأنوار ﷺ مِثْلَ صَلْصَلَة الجرس، وأحيانا يتَمَثَّل له المَلَكُ فَيُكَلِّمه، فَيَعِي ما يقول، وَهَبْ أننا أنزلنا عليهم ملكا لقالوا إن هذا لا يمكننا التلقي عنه فهلاّ انقلب في قالب بشريّ حتى يصح التلقي عنه كما استعاذت مريم عليها السلام من الرّوح لما جاءها بصورة مَلَكِية، فصَيَّر تعالى ما يقترحونه آخرا أَوَّلاً، فَجَعَلَ الرَّسولَ مِن أوَّل الأمر بَشَرِيّا"[17].

وقد نُقل إلينا نقلا صحيحا في كثير من الأحاديث إثبات الخصوصية للنبي ﷺ حتى في بشريته، ويجمعها قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الوصال عن عائشة رضي الله عنها: «إني لَسْتُ كَهَيْئَتِكم إني يُطْعِمني ربي ويَسْقيني»[18].

الدليل الثاني: خطايا الأنبياء في القرآن

يستدل محمد شحرور على نفي العصمة التكوينية، وحصرها في البلاغ فقط، بما أورده القرآن الكريم من الأخطاء والخطايا المتعددة للأنبياء، فيقول: "ففي أنباء نوح عليه السلام نقرأ قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود:37]... وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 46-47]، والمتأمل في هذه الآيات لا يحتاج إلى جهد كبير ليفهم أن نوحا عصى أمر ربه مرتين، ثم أدرك أنه كان ضحية هاجس شيطاني، فاستعاذ بالله، وأنه أتى بما يستوجب التوبة، فاستغفر وأناب، وهذا كله ينفي عنه أيَّ عصمة مزعومة.

وفي أنباء يونس يقول تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:87-88]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾ [الأنبياء: 139-144]، فنحن في هذه الآيات أمام رسول غاضب، قادَهُ شيطانُ الغَضَب إلى الشَّكِّ في قُدْرَة الله عليه، فَأَوْكَلَهُ إلى حوتٍ ابْتَلَعَه، ثم تاب وسَبَّح وأَقَرَّ بظلمه ودعا ربَّه في ظلماتٍ ماديةٍ، هي ظلماتُ بطن الحوت وظلماتِ أعماق البحر، وظلماتٍ معنويةٍ يَشعر بها المذنب التائب، ولو كان معصوما لما أذنب وما تاب.

وفي أنباء موسى يقول تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص:15-16]، ونفهم من هاتين الآتين أن موسى يَعْتَرِف بقتله رجلا بدافع العصبية المقيتة، وأنه كان في ذلك ضحية الشيطان الرجيم، ثم يطلب المغفرة من ربه، وهذا مرة أخرى ينفي القول بالعصمة التكوينية"[19].

فهذا هو ما يتمسك محمد شحرور في نفي العصمة عن الأنبياء عليهم السلام، فنراه يقول ذلك بصريح العبارة في حق سيدنا آدم عليه السلام: "تُوَضِّح الآيات بِكُلِّ جَلاءٍ أنَّ آدمَ وزَوْجَهُ كانا من ضحايا الشيطان ولم يكونا من المعصومين"[20]، وفي حق سيدنا نوح عليه السلام: "وهذا كله ينفي عنه أيَّ عصمة مزعومة"[21]، وفي حق سيدنا يونس عليه السلام: "ولو كان معصوما لما أذنب وما تاب"[22].

فمحمد شحرور هنا يَعْقِد استلزاما لا يُسَلَّم له، ألا وهو: وقوع الخطإ من النبي يستلزم نفيَ عِصْمته.

وصدور الخطإ من النبي لا ينفي العصمة عند علمائنا، وهذا على فرض إثبات أنه خطأ، فقد أجاب علماء العقيدة إجابات وافية لا تخرج عَمَّا يَعْتَقِده المسلمون في عصمة الأنبياء والتماس تأويلات مقبولة شرعا وعقلا.

ومَسْلَك التأويل هو الذي سَلَكَه الجماهير من علمائنا، "وذلك لأن حَمْلَ الآيات على ما يقتضيه ظاهرها لا يتفق مع ما يجب من حِفْظ الحُرمة في جانب أصحاب النبوات، والذي لا يتحقق إلا من خلال وَزْنِهم بموازينهم، فإن المَعْدِن النفيس إذا وُزِن بغير ميزانه بَخُسَ ورَخُصَ"[23].

وقد أورد الإمام الفخر الرازي[24] في كتابه عصمة الأنبياء حُجَجًا وبراهين قاطعة تدل على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب والمعاصي، كما تناول الآيات التي ظاهرها وقوع الأنبياء في المعاصي، وتأولها تأويلا يليق بمقام الأنبياء عليهم السلام ويحفظ حرمتهم.

ومن جملة الأدلة التي ذكرها في بيان عصمة الأنبياء من الذنوب ما يلي:

"**أولا**: لو صَدَرَ الذَّنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذّمّ عاجلا، والعقاب آجلا أشدُّ من حال عصاة الأمة. وهذا باطل فصدور الذنب أيضا باطل.

بيان الملازمة: أن أعظم نعم الله على العباد هي نعمة الرسالة والنبوة، وكل من كانت نعم الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب عنه أفحش، وصريح العقل يدل عليه، ثم يؤكده من النقل ثلاثة وجوه:

1- قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾[الأحزاب: 32] وقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 30].

2- أنَّ المُحْصَن يُرْجَم وغيرُه يُجْلَد.

3- أن العبد يُحَدُّ نِصف حدِّ الحُرّ.

فثبت بما ذكرنا أنه لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم العاجل والعقاب الآجل فوق حال جميع عصاة الأمة، إلا أن هذا باطل بالإجماع فإن أحدا لا يجوز أن يقول إن الرسول أحسن حالا عند الله وأقل منزلة من كل أحد. وهذا يدل على عدم صدور الذنب عنهم.

ثانيا: لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:06].

ثالثا: لو صدر الذنب عنهم لوجب زَجْرُهم، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير جائز، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب:57]، فكان صدور الذنب عنهم ممتنعا.

رابعا: لو صَدَرَ الفِسق عن محمد عليه الصلاة والسلام لكنا إما أن نكون مأمورين بالاقتداء به وهذا لا يجوز، أولا نكون مأمورين بالاقتداء به وهذا أيضا باطل لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:31].

خامسا: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص:47]، وهو أن اللفظين أعني قوله تعالى: (الْمُصْطَفَيْنَ) وقوله: (الْأَخْيَارِ)، يتناولان جملة الأفعال والتُّروك، بدليل جواز الاستثناء، يقال: فلانٌ من المُصْطَفَيْنَ الأخيار إلا في كذا، والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل، فدلت هذه الآية على أنهم كانوا من المُصْطَفَين الأخيار في كل الأمور، وهذا ينافي صدور الذنب عنهم"[25].

ومن أمثلة التأويل الحسن ما أورده الإمام الفخر الرازي حيث قال عن سيدنا يونس عليه السلام: "تمسكوا بقوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه ذهب مغاضبا وذلك كان محظورا، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:48] فذلك يقتضي أن ذلك الفعل من يونس عليه السلام كان محظورا.

الثاني: قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ وذلك يقتضي كَوْنَه شاكًّا في قدرة الله تعالى.

الثالث: قوله ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

الجواب عن الأول: أن الآية دَلَّت على أنه ذهب مُغاضبا، ولم تدل على أنه غاضب الله، وكيف ومغاضبة الله تعالى لا تجوز على أحد من المسلمين، فكيف على النبي عليه السلام؟! فلعله إنما خَرَجَ مغاضبا لِقَوْمه، فَلِمَ قلتم إن ذلك معصية؟

أما قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ فليس لأنه ثَقُلَت عليه أعباء النبوة لِضيق خُلُقِه، بل المراد أنه لم يَقْوَ على الصبر على تلك المحنة التي ابتلاه الله بها، ولو صبر لكان أفضل، فأراد الله تعالى بمحمد ﷺ أفضل المنازل وأعلاها.

وعن **الثاني**: أن الشك في قدرة الله تعالى كفر، ولا نزاع أنه لا يجوز اتّصاف الأنبياء به، بل المراد أن لا نُضَيِّقَ الأمر عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾[الطلاق:07]، وقال: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد:26]، أي: يُوَسِّع ويُضَيِّق، وقال: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر:16] أي: ضَيَّقَه.

وعن الثالث: فالجواب عنه ما تقدم من قصة آدم عليه السلام"[26].

والذي ورد في قصة سيدنا آدم قوله: "وهو أن الله تعالى سَمَّاه ظالما: فقد أجاب عنه من يُجَوِّز الصغيرة بأَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ يأتي به المُكَلَّف كبيرا كان أو صغيرا فهو ظالم لنفسه، وأما من لم يُجَوِّزْها فأجاب بأن تَرْك الأَوْلى ظُلْمٌ، لأنه لما كان مُتَمَكِّنا من فِعْلِ الأَوْلى حتى يستحق به الثواب العظيم، فلمَّا تَرَكَهُ من غير مُوجِب فقد تَرَكَ حظَّ نَفْسِه، ومِثْلُ هذا يجوز أن يُسَمَّى ظالما لنفسه، لأنَّ حقيقةَ الظلم وَضْع الشيء في غير مَوْضِعه وهاهنا كذلك"[27].

المطلب الثاني: الآثار المترتبة على مفهومه للعصمة

إن ما ذهب إليه محمد شحرور في مفهوم العصمة له من الأثر البين الواضح على الدين وعلى مقام النبوة ما له، ولعل أبرز هذه الآثار يتمثل فيما يلي:

الفرع الأول: نفي الخصائص البشرية للأنبياء

مفهوم العصمة عند محمد شحرور يفضي إلى أن الأنبياء عليهم السلام كغيرهم من البشر ولا فرق بينهم، ولا يتمتعون بأي خصائص بشرية، وهذا خطأ وزلل، وبيان ذلك أن نقول:

أولا: اختيار الأنبياء عليهم السلام هو اصطفاء من الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص:47]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]، وهذا الاصطفاء يقتضي تخصيص النبي بخصائص تُأَهِّله لِتَلَقِّي الوحيَ، إما بواسطة المَلَك، أو بالخطاب المباشر.

وربما يُظَنُّ أن استقبال النبوة أمرٌ عاديٌّ يستطيع أيَّ إنسانٍ احْتِمالَه، نَقْصِد بذلك: تلك اللحظة التي يُعْلِم بها الله تعالى اختياره لهذا النبي أو ذاك، والحقيقة غير ذلك تماما، إذ إن استقبال التكليف بالنبوة أمر لا يحتمله عقل أي كائن من البشر، مهما بلغت مقدرته على تمالك نفسه وجسمه وعقله، فما يتعرض له الأنبياء عليهم السلام عند تلقيهم الوحي أول مرة، لا يستطيع أحد من البشر العاديين أن يحتمله، ولولا أن الله عز وجل قد جعل في هؤلاء الأنبياء قدرات تؤهلهم لتحمل هذه المواقف، لذهبت هذه المواقف بعقولهم[28].

ثانيا: تصريحُ سيدنا محمد ﷺ في الحديث الصحيح أنَّ هيئته تختلف عن هيئة بقية الناس في القدرة على مواصلة الصيام لليالي معدودات، حيث قال: «إني لَسْتُ كَهَيْئَتِكم إني يُطْعِمني ربي ويَسْقيني»[29].

ثالثا: نوم الأنبياء عليهم السلام يختلف عن نوم بقية البشر، عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عَشْرَةَ ركعة، يُصَلِّي أَرْبَعًا فلا تَسَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ ثم

يُصَلِّي أَرْبَعًا فلا تَسَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ ثم يُصَلِّي ثلاثا قالت عائشة: فقلت يا رسول الله: أتنام قبْلَ أن تُوتِر؟ فقال: «يا عائشة إن عَيْنَيَّ تنامان ولا ينام قلبي»[30].

وفي حديث الإسراء يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أَوَّلُهُم: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فقال أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، وقال آخِرُهُم: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فكانت تلك. فَلَمْ يَرَهُمْ حتى جاؤوا لَيْلَةً أخرى فيما يَرَى قَلْبُهُ، والنبي ﷺ نائمةٌ عَيْناه ولا ينام قَلْبُه، وكذلك الأنبياء تنام أعيُنُهُم ولا تنام قُلوبُهم فَتَوَلَّاه جِبْريل، ثمَّ عُرِجَ بِهِ إلى السَّماء"[31].

رابعا: الأنبياء عليهم السلام لَيْسُوا آلهةً ولا ملائكةً ولا أيَّ خَلْقٍ آخرَ، بل هم بَشَرٌ، ولكنها بَشَرِيَّةٌ بخصوصية معلومة، لأنَّ من ينفي العصمة والخصوصية البشرية يُلْزِمُنا أن الأنبياء في مقام الآلهة، وهذا مردود، فمن نظر في تقرير علمائنا لصفات الأنبياء عليهم السلام يجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، واجب ومستحيل وجائز في حقهم عليهم السلام، فإذا نَظَرْتَ إلى ما يجوز في حَقِّهم عَلِمْت عِلْمَ اليقين الفَرْقَ بين مقام الألوهيَّة ومقام النبوة البشرية[32].

فخلاصة القول إن الخصوصية هنا ليست ألغازا ولا أسرارا تُخْرِجُ النبي عن طبيعته البشرية، بل هي تهيئة خاصة في عقل ونفس وروح النبي تؤهله للتلقي من الحضرة الإلهية.

الفرع الثاني: نفي حجية السنة النبوية

إنّ حَصْر محمد شحرور للعصمة في بلاغ الوحي القرآني فقط، دون اعتبارها في أقوال وأفعال النبي ﷺ، يفضي إلى عدم اعتبار السنة مصدرا للتشريع، لأن النبي في نظره تصرف بمقتضى البشرية والنبوة أي بصفة الملك، وهذا قد يصيب فيه النبي ويخطئ، وهو ليس ملزما لنا، بل هو خاص ببيئته وظروفها.

حيث تَوَجَّه محمد شحرور في حديثه عن السنّة النبوية بالسؤال الآتي: هل كلام النبي ﷺ في تلك الأمور التي لا تتعلق بالأصول: الحدود والعبادات والغيبيات إن صَحَّتْ، وَحْيٌ أم اجتهاد؟ وخَلُصَ إلى أن النبي ﷺ إنما هو إنسان عاديّ، عاش حياته في شِبْهِ جزيرة العرب بكل ما فيها من ظروف، وأنَّ الأحاديث النبوية ليست وَحْياً بدليل أن الله عاتَبَهُ في كثير من الآيات من سورة عبس، والتحريم، والأنفال[33].

وهذا القول والتقرير منه خطير جدا، إذ إنه يَهدم جزءا كبيرا من الدين بكل برودة، وهذا سببه الضلال والزيغ في المفاهيم، فلما حصر العصمة في بلاغ القرآن فقط، جعل ما يَصْدُر من النبي صلى الله عليه وسلم خارجا عن العصمة، فهو فيه مجتهد بل هو ليس تشريعا أصلا.

فلا بد أن يُعْلَمَ أَوَّلا أنَّه تَجِبُ عِصْمَة الأنبياء عن أيِّ شيء يُخِلُّ بالتبليغ، ككتمان الرسالة، والكذب في دعواها، والجهل بأيِّ حُكْم أُنْزِل عليهم، والشَّكّ فيه، والتقصير في تبليغه، وتَصَوُّر الشيطان لهم في صورة المَلَك، وتَلْبيسه عليهم في أَوَّل الرسالة وفيما بعدها، وتَسَلُّطِه على خواطرهم بالوساوس، وتَعَمُّد الكذب في أيِّ خبر أَخْبَروا به عن الله تعالى، وتَعَمُّد بيان أيِّ حكم شرعيّ على خلاف ما أُنزِل عليهم، سواء أكان ذلك البيان بالقول أم بالفعل، وسواء أكان ذلك القول خبراً أم غيره ... فذلك كله قد انعقد الإجماع من أهل الشرائع على وجوب عصمتهم منه لدلالة المعجزات التي أظهرها الله على أيديهم القائمة مقام قوله تعالى: (صَدَقَ رُسُلي في كُلِّ ما يُبَلِّغون عَنِّي)، وعليه فإنه لو جاز عليهم شيء من ذلك، لأدى إلى إبطال دلالتها، وهو محال[34].

فكل خبر بلاغيّ من الرسول ﷺ بعد تقرير الله له عليه، صادقٌ مطابقٌ لما عند الله إجماعاً، فيجب التمسك به، يَدُلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:03-04]

فكلمة "**ينطق**" في لسان العرب تَشْمَلُ كُلّ ما يَخْرُجُ من الشَّفَتَيْن مِن قَوْل أو لَفْظٍ، أي: ما يخرج نُطْقُه ﷺ عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل[35].

والأدلة على حجية السنة النبوية كثيرة جدا، قد بَسَطَهَا العُلماء قديما وحديثا في كُتُبِهم، وَرَدُّوا على شُبُهَات المُنْكِرين والطاعنين[36].

ومن الأدلة على أن السنة النبوية وَحْيٌ مُنَزَّلٌ من عند الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113]، فهذه الآية تدل على أن الحكمة نَزَلَت من عند الله تعالى مثل القرآن الكريم، وفى سورة الإسراء يقول رب العزة: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:39]، والآية واضحة في أن الحكمة وحي من الله تعالى مثل القرآن الكريم، ومن دقة الأداء القرآني في التعبير عن هذين النوعين من الوحي (الكتاب والسنة)؛ أنه فَصَلَ بينهما بواو العطف إذا اجتمعا، ليبين أن هذين النوعين مختلفان لضرورة التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه، فالمنطق يقتضي أن الشيء لا يعطف على نفسه وصاحب العقل الفصيح يلمح الإشارة في قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:231] حيث فَرَّق ربُّ العِزّة بين الكتاب والحكمة بحرف العطف ليدل على تغايرهما، وأفرد الضمير العائد عليهما، ليدل على وحدة مصدرهما وأن المشكاة واحدة[37].

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه نصل إلى النتائج الآتية:

- يعتبر محمد شحرور من أبرز الشخصيات المعاصرة المثيرة للجدل في الفكر الديني عموما، وفي مسائل الاعتقاد على وجه الخصوص.
- يركز محمد شحرور في تحليل ونقد قضايا ومسائل النبوة على التحليل العقلي المجرد، ومن خلاله يعتبر أن أكثر ما ألصق بالأنبياء عليهم السلام ما هو إلا خرافات وأساطير.
- تصدى العلماء سلفا وخلفا للمستجدات المفاهيمية في الساحة الفكرية الإسلامية، وردوا على مثل هاته الأطروحات بحجج وبراهين عقلية ونقلية.
- اهتم محمد شحرور كثيرا بمسألة عصمة الأنبياء، كونها أحد أهم القضايا التي بنى عليها مشروعه في نقد الفكر الديني، خاصة في مسألة السنة النبوية.
- انطلق محمد شحرور في تأصيله لمسألة العصمة من تقسيمه الثلاثي لمقام النبي، وهي مقام النبي ومقام الرسول ومقام الرجل.
- يقسم العصمة إلى قسمين: عصمة تكوينية وعصمة مكتسبة، فأما العصمة التكوينية عنده فيعتبرها مجرد زعم عار عن الدليل والحجة، والأنبياء في ذواتهم وبشريتهم لا فرق بينهم وبين بقية الناس، وأما العصمة المكتسبة عنده فهي الخاصة بمقام تبليغ الرسالة فقط.
- هذا المفهوم للعصمة عنده يقتضي نفي الخصائص البشرية للأنبياء عليهم السلام.
- تربت آثار وخيمة على مفهوم محمد شحرور للعصمة ومن أبرزها: نفي حجية السنة النبوية، لأن النبي عنده غير معصوم في تصرفاته وأقواله وأفعاله.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم الباجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ت: د.علي جمعة، ط:01، دار السلام، مصر، 1422هـ/2002م.
- ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- أبو البقاء الكفومي، الكليات، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ- 1998م.

- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ -1979م.
- تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ت: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط:02، دار هجر للطباعة والنشر، 1413هـ.
- عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، الوفاء للطباعة والنشر.
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، ط:1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ.
- عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، ط:01، 1422 هـ /2002 م
- فخر الدين الرازي، عصمة الأنبياء، مطبعة الشهيد، قم، 1406هـ.
- محمد إبراهيم الحفناوي، دراسات أصولية في السنة النبوية، ط:1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1412هـ.
- محمد إبراهيم الكتاني، رد المتشابهات إلى المحكمات في جانب خاتم النبوات، ط:2، 1429هـ-2008م.
- محمد ابن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ-1987م.
- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ت: أحمد عزو عناية، ط:1، دار الكتاب العربي، 1419هـ-1999م.
- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، (د.ط) (د.ت).
- محمد شحرور، الإسلام والإنسان، ط2، دار الساقي، بيروت لبنان، 2017م.
- محمد شحرور، الكتاب والقرآن-قراءة معاصرة-، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا.
- مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ط:01، دار الوراق للنشر والتوزيع.

المواقع الإلكترونية:

السيرة الذاتية، الشيخ محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، الموقع الرسمي للشيخ: http://albaeth.blogspot.com/p/blog-page.html
- ادعاء أن محمدا عليه السلام لم يتصف بصفات الأنبياء، من موقع: بيان الإسلام، على الرابط: http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-05-0003&value=&type
-محمد شحرور، أما آن لنا أن ندفنهم، من الموقع الرسمي للمهندس محمد شحرور: https://shahrour.org/?p=11701.

الهوامش:

[1] - هو محمد بن ديب شحرور، سوري الجنسية، ولد في دمشق عام 1938م، أَتم تعليمه الثانويّ في دمشق وحاز على الثانوية العامة سنة 1958م، تحصل على شهادَتَي الماجستير سنة 1969م، والدكتوراه سنة 1972م في الهندسة المدنية، بدأ دراسة القرآن الكريم وهو في أيرلندا سنة 1970م، واستمر بالدراسة حتى سنة 1990م، حيث أصدر سلسلة من الكتب في الدراسات الإسلامية المعاصرة، والتي أوضح فيها مشروعه الفكري، والذي يُعنى أساسا بالقراءة المعاصرة للقرآن الكريم، أهمها كتاب: الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة-، وكتاب: الإسلام والإيمان -منظومة القيم-، وكتاب: تجفيف منابع الإرهاب، كما نشرت له عدة أبحاث في الدوريات والنشرات الصادرة عن هيئات علمية حكومية رسمية عربية وأجنبية، توفي محمد شحرور يوم السبت 21 ديسمبر 2019م بالعاصمة الإماراتية أبو ظبي ودفن بسقط رأسه بدمشق، عن عمر ناهز الثمانين سنة. **ينظر في ترجمته:** محمد شحرور، السيرة الذاتية، أخذته يوم: 2019/11/25م، في الساعة: 08:43، من الموقع الرسمي للمهندس محمد شحرور، على الرابط: https://shahrour.org/?page_id=2

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت)، 404-403/12.

[3]- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ -1979م، 331/4.

[4]- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، ط:1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ، ص195.

[5]- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، 18/5.

[6]- أبو البقاء الكفومي، الكليات، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ 1998م، ص1025.

[7]- محمد إبراهيم الحفناوي، دراسات أصولية في السنة النبوية، ط:1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1412هـ، ص20.

[8]- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ت: أحمد عزو عناية، ط:1، دار الكتاب العربي، 1419هـ-1999م، 100/1.

[9]- محمد شحرور، الإسلام والإنسان، ط2، دار الساقي، بيروت لبنان، 2017م، ص93، 94.

[10]- المرجع نفسه، ص 94.

[11]- محمد شحرور، الإسلام والإنسان، ص 96.
[12]- المرجع نفسه، ص 96.
[13]- محمد شحرور، أما آن لنا أن ندفنهم، أخذته يوم: 2019/11/23م، على الساعة: 23:18، من الموقع الرسمي للمهندس محمد شحرور: https://shahrour.org/?p=11701.
[14]- محمد شحرور، الإسلام والإنسان، مرجع سابق، ص 96.
[15]- محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث بن أحمد بن غنيم، ولد بالإسكندرية بمصر يوم الإثنين 1946/07/01م، تعلم في المدارس النظامية والتي أفاد منها مبادئ العلوم الأولية بجانب علوم أخرى، أخذ العلم عن كبار العلماء بالمشرق والمغرب، منهم آل الصديق الغماريون، وآل الكتاني، والشيخ صالح الجعفري وغيرهم، له العديد من المؤلفات من أهمها:
كتاب: إبراء الذمة بتحقيق القول حول افتراق الأمة وكتاب: نقل الأعضاء بين الحِلِّيَة والحرمة، وكتاب: رد المتشابهات إلى المحكمات في جانب خاتم النبوات صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. الترجمة مأخوذة من موقع الشيخ يوم: 2019/11/29م، على الساعة: 07:00، من موقع: http://albaeth.blogspot.com/p/blog-page.html.
[16]- محمد إبراهيم الكتاني، رد المتشابهات إلى المحكمات في جانب خاتم النبوات، ط:2، 1429هـ-2008م، ص55-56.
[17]- المرجع السابق، ص57-59.
[18]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام، رقم الحديث: 1863، ينظر: محمد ابن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، 693/2.
[19]- محمد شحرور، الإسلام والإنسان، مرجع سابق، ص 95.
[20]- المرجع نفسه، ص 94.
[21]- المرجع نفسه ص 95.
[22]- المرجع نفسه ص 95.
[23]- محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، رد المتشابهات إلى المحكمات في جانب خاتم النبوات، مرجع سابق، ص24.
[24]- هو أبو عبد الله فخر الدين محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين القرشي البكري التيمي الشافعي الرازي، إمام مفسِّر أصولي نظار، وحيد زمانه في المعقول والمنقول، كان مبرزا في علوم العربية والوعظ باللسانين العربي والعجمي، من أشهر مصنفاته: التفسير الكبير، والمحصول في الأصول، والمطالب العالية في أصول الدِّين، توفي سنة 606هـ. ينظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ت: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط:02، دار هجر للطباعة والنشر، 1413هـ، 81/8-82.
[25]- ينظر: فخر الدين الرازي، عصمة الأنبياء، مطبعة الشهيد، قم، 1406هـ، ص09-16.
[26]- فخر الدين الرازي، عصمة الأنبياء، مرجع سابق، ص88-89.
[27]- المرجع نفسه، ص20.
[28]- ينظر: مقال بعنوان: ادعاء أن محمدا عليه السلام لم يتصف بصفات الأنبياء، أخذته يوم: 2019/11/11م، على الساعة: 07:30، من موقع: بيان الإسلام، على الرابط: http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-05-0003&value=&type=.
[29] - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام، رقم الحديث: 1863، ينظر: محمد ابن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ-1987م، 693/2.
[30]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل في رمضان وغيره، رقم الحديث: 1096، ينظر: محمد ابن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، 385/1.
[31]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه، رقم الحديث: 3377، ينظر: محمد ابن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق،1308/3.
[32]- لتفصيل صفات الأنبياء عليهم السلام ينظر: إبراهيم الباجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ت: د/علي جمعة، ط:01، دار السلام، مصر، 1422هـ/2002م، ص 200-206.
[33]- ينظر: محمد شحرور، الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة-، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا ، ص545-546.
[34]- عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، الوفاء للطباعة والنشر، ص96.
[35]- عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، ط:01، 1422 هـ /2002 م، ص528.
[36]- ينظر في بيان حجية السنة النبوية: محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، 96/1-119. وينظر: عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، المرجع السابق، ومصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ط:01، دار الوراق للنشر والتوزيع.
[37]- عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، مرجع سابق، ص532-533.